رابعتها : معان قصرت عنها الأفهام في بعض أحوال العصور وأودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة قرآنية عند أهل العلم في عصور قد يضعف فيها إدراك الإعجاز النظمي نحو قوله (والشمس تجري لمستقر لها) (وأرسلنا الرياح لواقح) (يكور الليل على النهار) (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) (تنبت بالدهن) (زيتونة لا شرقية ولا غربية) (وكان عرشه على الماء) (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وذكر سد يأجوج ومأجوج .

خامستها : مجازات وكنايات مستعملة في لغة العرب إلا أن ظاهرها أوهم معاني لا يليق الحمل عليها في جانب الله تعالى : لإشعارها بصفات تخالف كمال الإلهية وتوقف فريق في محملها تنزيها نحو (فإنك بأعيننا) (والسماء بنيناها بأيد) (ويبقى وجه ربك) .

وسادستها : ألفاظ من لغات العرب لم تعرف لدى الذين نزل القرآن بينهم : قريش والأنصار مثل (وفاكهة وأبا) ومثل (أو يأخذهم على تخوف) (إن إبراهيم لأواه حليم) (ولا طعام إلا من غسلين) .

سابعتها : مصطلحات شرعية لم يكن للعرب علم بخصوصها فما اشتهر منها بين المسلمين معناه صار حقيقة عرفية : كالتيمم والزكاة وما لم يشتهر بقي فيه إجمال : كالربا قال عمر " نزلت آيات الربا في آخر ما أنزل فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينها " وقد تقدم في سورة البقرة .

ثامنتها : أساليب عربية خفيت على أقوام فظنوا الكلام بها متشابها وهذا مثل زيادة الكاف في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) ومثل المشاكلة في قوله (يخادعون الله وهو خادعهم) فيعلم أن إسناد خادع إلى ضمير الجلالة إسناد بمعنى مجازي اقتضته المشاكلة .

وتاسعتها : آيات جاءت على عادات العرب ففهمها المخاطبون وجاء من بعدهم فلم يفهموها فظنوها من المتشابه مثل قوله (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) في الموطإ قال ابن الزبير " قلت لعائشة وكنت يومئذ حدثا لم أتفقه لأرى بأسا على أحد إلا يطوف بالصفا والمروة " فقالت له : " ليس كما قلت إنما كان الأنصار يهلون لمناة الطاغية " الخ . ومنه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم) (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) الآية فإن المراد فيما شربوا من الخمر قبل تحريمها .

عاشرتها : أفهام ضعيفة عدت كثيرا من المتشابه وما هو منه وذلك أفهام الباطنية وأفهام المشبه كقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) .

وليس من المتشابه ما صرح فيه بأنا لا نصل إلى علمه كقوله (قل الروح من أمر ربي) ولا ما صرح فيه بجهل وقته كقوله (لا تأتيكم إلا بغتة) .

وليس من المتشابه ما دل على معنى يعارض الحمل عليه دليل آخر منفصل عنه ؛ لأن ذلك يرجع إلى قاعدة الجمع بين الدليلين المتعارضين أو ترجيح أحدهما على الآخر مثل قوله تعالى خطابا لإبليس (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) الآية في سورة الإسراء مع ما في الآيات المقتضية (فإن ا غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) و (ا لا يحب الفساد) .

وقد علمتم من هذا أن ملاك التشابه هو عدم التواطؤ بين المعاني واللغة : إما لضيقها عن المعاني وإما لضيق الأفهام عن استعمال اللغة في المعنى وإما لتناسي بعض اللغة فيتبين لك أن الإحكام والتشابه : صفتان للألفاظ باعتبار فهم المعاني .

وإنما أخبر عن ضمير آيات محكمات وهو ضمير جمع باسم مفرد ليس دالا على أجزاء وهو (أم) لأن المراد أن صنف الآيات المحكمات يتنزل من الكتاب منزلة أمه أي أصله ومرجعه الذي يرجع إليه في فهم الكتاب ومقاصده . والمعنى : هن كأم للكتاب . ويعلم منه أن كل آية من المحكمات أم للكتاب في ما تتضمنه من المعنى . وهذا كقول النابغة يذكر بني أسد : .

" فهم درعي التي استلأمت فيها أي مجموعهم كالدرع لي ويعلم منه أنه كل أحد من بني أسد بمنزلة حلقة من حلق الدرع . ومن هذا المعنى قوله تعالى (واجعلني للمتقين إماما) .

والكلام على (أخر) تقدم عند قوله تعالى (فعدة من أيام أخر) .

(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) A

E